

الأنثروبولوجيا القرآنية دراسة وصفية من خلال كتاب علم الإنسان القرآني للشيخ ليث العتاي.  
**Quranic Anthropology: A Descriptive Study Through Sheikh Laith Al-Attabi's Book "The Science of Qur'anic Anthropology."**

د. رازي فايزة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة سعيدة، الجزائر

faiza.razi2018@gmail.com

أ.د/ موسوي محمد<sup>2</sup> \*

<sup>2</sup> جامعة تلمسان، الجزائر

moh.moussouni@gmail.com

تاريخ القبول: 2025/11/19

تاريخ الاستلام: 2025/09/24

**ملخص:**

تمثل هذه الدراسة رؤية استشرافية لعلم الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته، فظهوره عند الغرب جعل له بعض المميزات المعرفية والاختلافات الجوهرية المتفاوتة حسب طبيعة المجتمعات، بحيث كان له تأثير مباشر على تحول هذه الأخيرة وثباتها، فمن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول مقارنة الموضوع من منظور نقدي وفي علاقة الأنثروبولوجيا بالمجتمعات العربية الإسلامية، فهذا العلم الذي كان ولا يزال لديه أهداف استعمارية ومساوي مرتبطة بقضايا اجتماعية، ثقافية، اقتصادية وسياسية أصبح يطرح تساؤلات أكثر واقعية، فقد ركزت دراستنا على وضع مقارنات وإيجاد السبل التي من شأنها معالجة الواقع المحلي وفق علم متكيف مع البيئة والخصوصية الثقافية.

**الكلمات المفتاحية:** علم الأنثروبولوجيا- الأنثروبولوجيا القرآنية- المجتمعات الغربية- المجتمعات العربية- الدين.

**Abstract:**

This study represents a forward-looking vision of anthropology as an independent science. Its emergence in the West gave it some cognitive characteristics and fundamental differences that vary according to the nature of societies, so that it had a direct impact on the latter and its stability. Through this research paper, we will try to approach the subject from a critical perspective and in the relationship of anthropology to Arab and Islamic

---

\* المؤلف المرسل: أ.د/ موسوي محمد، الايميل: moh.moussouni@gmail.com

societies. This science, which had and still has colonial goals and endeavors related to social, cultural, economic and political issues, has begun to raise more realistic questions. Our study focused on making comparisons and finding ways to address local reality according to a science that is adapted to the environment and cultural specificity.

**Keywords:** Anthropology - Quranic anthropology - Western societies - Arab societies – Religion

## المقن

### مقدمة:

إنّ التمعّن في الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته منذ القرن التاسع عشر يجعلنا نفكر في جوهر وجوده، ألا وهو الإنسان، ففي تعريفه اللاتيني الذي "نحت من الكلمتين اليونانيتين هما antropos ومعناها الإنسان، و logos معناها علم، وعليه فإنّ المعنى اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا هو Antropology علم الإنسان" (زيد و وآخرون، 2010، الصفحات 13-14)، هذا الأخير الذي عايش بيئات وثقافات متعدّدة، مختلفة، متداخلة ومتناقضة في نفس الوقت، والعامل المشترك بين هذه المجتمعات والثقافات هو الدّين الذي كان ملازماً ومسيراً لمعيش الأفراد داخلها من خلال الكتب والنواميس السماوية، والقرآن أحد هذه النواميس التي كانت ولا تزال محطّ جدل ونقاش كبيرين سواء في المجتمعات الغربية أو العربية التي جاء فيها للوهلة الأولى باعتباره المنظّم الرئيسي للحياة الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية... إلخ، كلّ هذا أدّى لطرح عدّة تساؤلات لعلاقة علم الأنثروبولوجيا بالدّين الإسلامي وبكتابه القرآن.

### 1. ميلاد علم الأنثروبولوجيا:

إنّ علم الأنثروبولوجيا من حيث المحتوى قديم قدم التاريخ الإنساني، فيمكن حصر وجوده منذ وعي الإنسان بذاته، فقد سعى للتفاعل مع بيئته ومجتمعه، وهذا يمثّل المنطلق الفكري والفلسفي لوجود هذا العلم.

فقد ظهر مصطلح الأنثروبولوجيا في بريطانيا عام 1593م وكان المقصود به دراسة الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية، السيكولوجية والاجتماعية، فظّل يحمل معنى الدّراسة المقارنة للجنس البشري، أمّا كعلم مختص لم

يعرف في الغرب إلّا منذ قرنين، ويرجعون الأصول النظرية لعلم الأنثروبولوجيا لعصر الأنوار الذي عرف عدّة كشوفات جغرافية، ثقافية داخل أوروبا وخارجها، أمّا كلمة أنثروبولوجيا يذكر الباحث الفرنسي جان بواريه أنّها ظهرت أولاً في كتابات علماء الطبيعة إبان القرن 18م لتعني بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان، أمّا عند كلود ليفي ستراوس فيرى بأنّ الأنثروبولوجيا "هي نسق للتفسير يضع على الاعتبار النواحي الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية لكلّ أنواع السلوك" (Strauss, 1950, p. xxv)

## 2. الأنثروبولوجيا وتوجّهاها:

عرفت الأنثروبولوجيا عدّة تقسيمات أبرزها تقسيم رالف بندكتون في كتابه مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية 1960، بحيث جاءت في قسمين أساسيين هما: الأنثروبولوجيا العضوية أو الطبيعية والأنثروبولوجيا الثقافية، أمّا بارنو، فقد قسّمها في كتابه الأنثروبولوجيا الثقافية 1972 إلى ثلاث أقسام هي التطبيقية، النفسية أو الاجتماعية والاجتماعية، وكل توجّه تميّز بتحليلاته لارتباط الدين بالمجتمعات القديمة ومدى تفاعله معها.

فالدين بصفته ظاهرة مركّبة في الحياة الإنسانية انشغل به الفكر الإنساني من آلاف السنين، فكانت دراسته حاضرة في الكثير من العلوم الإنسانية كالقانون، الفلسفة، الأخلاق، اللاهوت، التاريخ، وكان علم الاجتماع أحد العلوم التي اعتبرت الظواهر الدينية محفّزا ودافعا لدراساتها " فنجد تحليلات دوركهايم وفير للظواهر الدينية ودراساتهم للمجتمع المعاصر والتغيّرات التي طرأت على الدين من جرّاءه" (وليم و ترجمة بدران، 2001، صفحة 09)، وتعدّ محاولات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في الوصول إلى شرح الدين ودوره في المجتمع جزءا من التوجّه العام في الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

يؤكّد العالم لبيك في كتابه أصول الحضارة أنّه "كانت لدى أقل الشعوب تحضرا مرحلة أولى كانت تخلو من كلّ ديانة على وجه الإطلاق" (النشر، 1949، صفحة 30)، فيحين ينفي ذلك المستكشفين الذين جاءوا من بعده على اعتبار أنّ الدين لازم جميع الشعوب على اختلاف طبيعتها، والتي طغا عليها الفكر المنغمس بالسحر، فأثبت مجموعة من العلماء أنّ "كثيرا من نظم وأنساق المجتمع البدائي كانت متطورة وعملية، فالفن البدائي مثلا متطور إذا ما تعامل معه الناقد بموضوعية وكذلك نظم الإدارة والحريّات الفردية" (مونتياغو و ترجمة عصفور، 1982، الصفحات 250-252).

### 3. البوادر الأولى لظهور علم الإنسان في المجتمعات العربية الإسلامية:

إنّ البوادر الأولى لظهور الأنثروبولوجيا لم تكن عشوائية ولا عبثية بل كانت وليدة ظروف استثنائية، فالاحتكاك الأول بينه وبين المجتمعات العربية جاء من خلال اعتبارها أداة استعمارية بامتياز، وهذه تمثل الخطوات الأولى في تواجد علم الإنسان في هذه المجتمعات، فـ **جيرار لكرلك** يرى " بأنّ موقف الأنثروبولوجيا الاستعماري لم يتوضّح بالفعل إلا بعد أن بدأت مرحلة إنهاء الاستعمار في العالم الثالث..." (لكرك و ترجمة كتورة، 2011، صفحة 12)، إضافة للفكر الاستشراقي الذي كان له دور محوري في ظهور هذا العلم للواجهة، ومن أجل ذلك يربط إدوارد سعيد بين الاستشراق والأنثروبولوجيا "ليس من النشأة بل في المادة التي اعتمدها، ثمّ في أنّها علمان استعماريّان أو نشئا في مرحلة الاستعمار وخدمته" (سعيد و ترجمة: عناني، 2006) هذا من جهة، ومن جهة ثانية عرفت مجموع النظريات المرتبطة بالنشوء والارتقاء انتشارا واسعا والتي تناقضت مع المسلّمات القرآنية، ما أدّى لبعض التحفظات وارتفاع بعض الأصوات التكفيرية الموجهة نحو الأنثروبولوجيا، ممّا جعل هناك نوع من الصراع بين الفكر الغربي والعربي، لكن تبقى الرؤية الأخلاقية هي أفضل مسير للفرد والعلوم التي يحملها ويسعى لتطويرها من خلال العقل الذي كرمه به الخالق كان هذا أحد أهمّ الأسباب التي عمّقت الفجوة في التعامل مع الأنثروبولوجيا ومقاومتها في المجتمعات العربية الإسلامية، فتلك الحساسية المفرطة كان مصدرها يعود لجذورها الاصطلاحية التي تنبع من الاشتقاق اللاتيني الغربي وليس العربي، ما عمل على مقاومة كلّ ما هو أجنبيّ وتحريم التعامل معه، وبهذا نشأ توجّه مقاوم لعلم الأنثروبولوجيا لاعتبارات ثقافية وتاريخية.

### 4. مداخل للمقاربات الأنثروبولوجية – الإسلامية:

عرفت الأنثروبولوجيا اجتهادات من أجل انتاج علم يتوافق مع طبيعة مجتمعاتها، وهذا ما سنوضّحه من خلال المقاربات التالية:

#### 1.4 المقاربة النفسية الأنثروبولوجية:

عرفت الدراسات الأنثروبولوجية –القرآنية عدّة تجاذبات في مواضيع مختلفة، وأهمّ ما جمعها الإنسان الذي يشمل شقّين فيزيقي وروحي، فنجد من خلال القرآن الكريم ذكر النفس البشرية وكل ما

يتعلق بها فيزيقيا، ميتافيزيقيا في عالم الجسد أو في عالم الروح، فقد ذكر وأكد على أهمية تربية النفس من حيث كونها (جهد) إنساني، وذلك من خلال تربية (الروح) كونها المحرك الأساسي والرئيس لذلك الجسد. لقد "أورد القرآن الكريم في العديد من الآيات النفس، فقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم 296 مرة، إذ ورد بصورة منفردة 140 مرة وفي صورة الجمع 155 مرة" (الباقى، 2002، الصفحات 710-714)، وما هذا إلا دليل قاطع عن مدى أهمية مفهوم النفس في تكوين البنية البشرية

بالمقابل تمّ البحث في أسباب أمراض النفس في القرآن الكريم، وتوصّل بأنّه من بين الأسباب الوجيهة لحدوث ذلك الإعراض عن ذكر الله في قوله تعالى: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" (القرآن الكريم، سورة طه، الآية 124)، وكذلك الظلال والعناد وقسوة القلب والظلم. أمّا علاج هذه الأمراض، فقد ورد في ذلك اتباع الدين الحقيقي وأخذ العبرة وشكر الله عزّ وجل في قوله تعالى: " فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ " (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 152).

#### 2.4 المقاربة الانثروبولوجية – الثقافية:

تعد إحدى أهم الفروع الأساسية لدراسة المجتمعات، بحيث انفردت بتحديد العنصر الثقافي، الذي يعتبر أحد المكونات الأساسية للمجتمع وفي تعريف قدمه ادوارد بينيديكت تايلور في كتابه " الثقافة البدائية " سنة 1871 للثقافة " بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات التي يكتسبها الفرد كونه عضوا في المجتمع". فمن أسباب اهتمام علماء الأنثروبولوجيا بالثقافة ذلك لكونها أحد الطرق التي ترشدنا إلى معرفة الإنسان في المجتمع ومعرفة الروابط المشتركة بين هذه المجتمعات، لأنّ الغرض هو معرفة الإنسان.

من هذا المنطلق عرفت الأنثروبولوجيا الثقافية قفزة نوعية على مستوى الدراسات من خلال بعض المفاهيم، فيبرز في المقابل مفهوم أساسي آخر هو مفهوم الشاقف بوصفه "مجموعة الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في النماذج الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما" (كوش، ترجمة: السعيداني، و مراجعة: اللبيب، 2007، صفحة 93)، وبهذا نخلص بأن الاحتكاك بين المجتمعات أنتج لنا ثقافة جديدة، ومن أهمّ وسائل التواصل نجد اللغة، التي يرى فيها لودفيج فيورباخ بأنها تمتلك أهمية كبيرة في معيش الإنسان فيقول: "بأنّ الكائنات تجعل البشر أحرارا، فالشخص الذي لا يستطيع التعبير عن الحرية والكلمة هي الحرية نفسها" (Mario, 1949, p. 71) وبهذا عرفت

علاقة الأنثروبولوجيا باللغة دراسات للكشف عن الأصول التاريخية لنشأة اللغة عموماً والمجموعات المتشابهة فيها لتحديد الظواهر اللغوية وفهم العمليات والتطورات التي أدت إلى نشأت اللغة وتطورها واختلافها.

- فاللغة من الوسائل المساعدة على اتصال الإنسان بالإنسان، كما هي أداة نقل الأفكار عن طريق التعبير.

- إنّ الأنثروبولوجيا تركز على الكشف عن كيفية نقل اللغة من جيل لآخر وكيف أنّ عمليات التوريث اللغوي تنقل معها في شكل عقائد وتقاليد وأعراف المجتمع، بحيث تعدّ من أهم عناصر الحضارة.

أكد ويؤكد القرآن الكريم على اللغة (اللسان) في التفاهم والتواصل وذلك راجع لعدة أسباب منها:

- اللغة المشتركة الدور الكبير في التفاهم وتقبل الآخر وبث روح الاطمئنان لدى الجماعات والأفراد.

بحيث قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۚ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية 04 )

#### 5. نحو علم إنسان إسلامي:

إنّ الباحث في العلوم الإنسانية بصفة عامة وعلم الإنسان بصفة خاصة واجه ويواجه بعض العوائق التي تحول دون تقدّمه وتطوّره، وهذا ما أسّست له النخبة المثقفة الفرونكوفونية بشكل مقصود، فتقليد الغرب في مجال التنظير بسبب التأثير الإيديولوجي الذي يترجمه التيارين الماركسي والليبرالي جعل نوع من إعادة إنتاج نفس الأفكار الإيديولوجية تحت مسمى العلم.

هناك ملازمة العالم أو المنظّر لنفس المنهج الذي جاء به الغرب دون أن يظهر أي عنصر تطوّري أو إبداعي أو تجديدي لفهم العلوم من منظور آني.

ترتب عن نقل والعمل بنفس النظريات والمناهج نوع من الجمود في المدارس والنظريات القديمة وبعدها عن الواقع العلمي والتطوّر الزمني، المكاني والبشري بل وحتى الحضاري، هذا ما نتج عنه إشكالية تحليل الواقع الاجتماعي بشكل سليم.

عدم وجود تيار ثقافي يفرض دراسات للقيم الإسلامية، فهناك إمّا تيارات إسلامية تعمل على أسلمة العلوم في صورة ضبابية، بحيث أفرغت العلوم من محتواها الجوهرية، أو هناك اقحام للنماذج الغربية انطلاقاً من آراء ومعتقدات بعيدة كلّ البعد عن واقع المجتمع الإسلامي وأكبر مثال على ذلك العلمانية التي تسعى قدر

الإمكان لفرض هيمنة فكرية في كل المجتمعات على اعتبارها أفضل نموذج فيعرف الفيلسوف الفرنسي إيان باربور النماذج: "على أنها مجموعة من المفاهيم أو الظواهر المعروفة، مع نظام من الاستعارة قادر على الشرح والبيان" (Barbour, 1990, p. 49)، فهل النموذج العلماني قادر على تحقيق نوع من التكامل المعرفي والثقافي والفكري في المجتمعات العربية الإسلامية؟.

#### خاتمة:

لقد ظلّ علم الإنسان حبيس النظرة الغربية من خلال محدودية ثقافية أحادية إقصائية للتوجهات الجديدة والمختلفة، فإذا كانت المهمة الأولى والرئيسية لعلم الإنسان هي مساعدتنا على فهم أنفسنا وأن نصل إلى أن الناس في جوهرهم وحدة واحدة، فهذا هو هدف الإسلام والذي بينته آيات القرآن الكريم والحديث الشريف.

إنّ مجال الأنثروبولوجيا واسع سعة الحياة ويشمل الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية الفكرية باتجاهاتها وتياراتها والأمر الذي لم يفهمه الكثير من الأنثروبولوجيين في العالم العربي والذين حصروا مجال بحثهم في موضوعات تقليدية، وهذا "راجع إلى قصور ملكة التخيل وإلى الخوف من الانطلاق والمبادرة" (أبو زيد ، 2001، صفحة 07).

إن الأنثروبولوجيا بشقيها النظري والتطبيقي عرفت اهتماما من قبل المفكرين، لكن تحتاج لإعادة النظر في كيفية التعامل معها وفق البيئة التي تدرس فيها مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمعات لأنه تعبير عن حاجة معرفية تسعى لها المجتمعات التي تريد الرفع من كفاءة مجال البحث سواء على مستوى العلوم التقنية أو الإنسانية.

#### قائمة المراجع:

##### القرآن الكريم

- أحمد أبو زيد، 2001، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي 46، الكويت، الطبعة الأولى.
- إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، الإستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 2006.
- اشلي مونتياغو، ترجمة: محمد عصفور، 1982، البدائية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،.

- جان بول وليم، ترجمة: اسماء بدران، 2001، الأديان في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- جيارار لكلكرك، ترجمة: جورج كتورة، 2011، معجم العلوم الإنسانية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط .
- حسن أبو زيد وآخرون، المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة ونقدها، مدخل إلى الأنثروبولوجيا، مركز الفكر الإسلامي المعاصر ، بيروت، لبنان، 2010.
- دوني كوش، ترجمة، منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، 2007، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- علي سامي النشار، نشأة الدين ، النظريات التطورية والمؤهلة، دار نشر الثقافة، الاسكندرية، 1949.
- محمد فؤاد عبد الباقي، 2002، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- Barbour ; 1990 Religion in Age of Science ; harper ; Saint Francisco ;.
- Levi- Strauss Claude ; 1950 Introduction a Loeuvre de Mauss «Sociologie et Anthropologie» ; P.U.F .
- Pei Mario 1949 ; The story of language ; Lippincott C ; New york .